جَوابُ كِتَابٍ مِن الرّيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وليّ الحمد وأهله، والصلاة على رسوله محمّد وآله.

جواب كتاب من الريّ إلى أبي عبدالله رحمة الله عليه

(١)

قال الإمام أبو عبدالله رحمه الله: سلام عليك ورحمة الله وبركاته! وصل كتابك وفهمتُه، وذكرتَ: إنّي مشتاق إلى رؤيتك العزيزة، فانظر – أبقاك الله – من أين هذا الشوق مهتاجُه وإلى أيّ شيء تشتاق لرؤيتي، فإن كنت تشتاق فشوقك إلى ما أملتَ، فقلتَ: عسى أرى عبدًا من عبيده عليه سمات العبودة ممّن أدّبه العزيز بلطفه، لأَحتظي منه بعض سماته.

أو أرى عبدًا من عبيده ينطق عن آلاء مولاه بنعمة ربّانيّة، لعلّه أن تخرق نعمته بعض حجبي فيصل إلى قلبي فيسبيه بصفات الآلاء.

أو أرى عبدًا موفور الحظّ من المشيئة، وعين الله ترعاه، عليه بهاء القربة وعليه لطف الرعاية، وفيه بهجة الحظّ وله غنى المرعى، فأجعله سببًا إليه.

أو عبدًا قد أخذ الله بيده وولي هدايته للطريق إليه حتى أقامه بين يديه، فأَقتَبِس منه

١٢٩ ب علم الطريق – فإن كنتَ في إحدى هذه الوجوه ثم صبرتَ / على شوقك فأنتَ محمود مأجور.

ووصفت أنّ شأنك ومبتدأ أمرك أنّك نلت منزلة لا تعمل شيئًا إلاّ بإذن، ثم صَحِبت

---

١) بسم – الرحيم ن، د: – ج ٢) الحمد – آله ن: – ج، د ٣) الى – الله ج، ن: الى الحكيم أبي عبد الله الترمذي د ‖ رحمة الله عليه ج: رحمه الله ن، د ٥) وبركاته ن، د: – ج ٦) وفهمته ن، د: – ج ٧) أي ج، ن: – د ١٥) الوجوه ج، د: – ن

رجلاً ممّن ترجو الزيادة به . فتركت أمرك وأقبلت عليه فافتقدت الأمر الأوّل ، — وهكذا يكون شأن من يطلب الخالق بالمخلوق .

الصادق في الطريق يطلب ربّه به لا بشيء سواه ، ومبتدؤه كما ابتدأت فيه : أن لا تعمل شيئًا إلاّ بإذنه إلاّ الفرض الذي قد لزم الخلق ، فكان هذا منك انقيادًا للعبودة وتسليمًا للنفس إليه ، فكان سبيلك أن تدوم على هذا حتى تنظر ما يكون منه بعد هذا .

فإن العبد إذا أقبل إلى الله هاربًا من نفسه فارًّا إليه — كما قال الله تعالى : ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ — فالفرار من النفس إلى الله تعالى ، فإن كان صادقًا قبل منه هذا الفرار ، وآوى ونصر . وعلامة القبول والإيواء أن يَرِدَ على قلبه هذا الإذن . وعلامة النصر أن يكفّ عنه الوسواس . فهو يستمرّ فيه ويدوم عليه ، فيحتاج إلى مدّة حتى يُحكِم هذا .

وهو بمنزلة عبد السبي : لا يعرف أمر مولاه وقد ألقى بيده سلمًا ينتظر ما يأمره مولاه ، فهو ينتهي إليه حتى إذا أتت عليه المدّة بقدر ما يعرف أخلاق السيّد وقصده ومراده وضرر أمره ونفعه وصلح للتفويض إليه أعطاه رأس ماله وفوّض إليه أموره ، فهو يأخذ ويعطي ويتّجر في ماله ، ويضع ويرفع ويسوس عبيده الذين هم دونه ويُشرف على أمور سيّده ، فلا يحتاج إلى إذن في كلّ كلام ، لأنّه قد عرف أمر مولاه واستبطنه ، فصلح لتدبير أمره وسياسة / عبيده. ١٣٠ أ

فإذا ذهب هذا العبد وهو سبيّ بعدُ فوضع يده في يد سبيّ مثله لم يبلغ هذا المحلّ ولم يصلح لتدبيره وسياسته وهو مثله ضعيف — فقد ترك طريقه وضيّع أمره ، فينبغي له أن يستقبل الأمر استقبالاً .

وكذلك هذا العبد الذي بذل نفسه لله وانتظر الإذن في كلّ أمر يَرِد عليه الإذن ، فيحتاج إلى مدّة حتى ينتهي إلى غاية ، فهو في هذه المدّة في مزيد من الله ، يزيده نورًا على نور ، حتى يزداد بأمره بصيرةً ويموت منه كلّ داء دفين في نفسه حتى يقوى للتفويض إليه .

وقد شرحتُ هذا كلّه في كتاب أنفذته إليكم ، عنوانه : كتاب سيرة الأولياء ، فاطلبه تجد هذا كلّه فيه — إنّ شاء الله تعالى .

---

٣) أن لا جَ . نَ : ألاّ دَ ٥) ما نَ ، دَ : بما جَ ٨) عنه جَ . نَ : عنه هذا دَ ١٣) ويتجر نَ ، دَ : — جَ ٢٠) يزيده جَ : يزيد نَ ، دَ

....

٦) — ٧) القرآن الكريم ٥١/٥٠

٢٣) قارن : Einleitung 1.3.

فمن شأنك الآن استقبال الأمر والتوبة من الحدث الذي أحدثت وتسليم النفس إلى الله مبتدئًا والتبرؤ من الحول والقوّة والتضرّع إلى الله في الإقالة ، تخرج من حيرتك إن شاء الله تعالى . فتطهّرْ وصَلِّ ركعتين في بَراز من الأرض وتب إلى الله من الحدث الذي أحدثت في تركك طريقك وإقبالك إلى مخلوق مثلك ، واجعلْ هذا رأس أمرك .

فإنّ النفس تحتاج إلى مثل هذا حتى تعلم النفس استقبال الأمر ، ثم خذ بزمام جَمَلك فقُده إلى الله قودًا رقيقًا بلطف ، ولا تعرج يمينًا ولا شمالاً حتى تبلغ المنزل ولو امتدّت بك المدّة إلى وصول المنزل إلى آخر رمق من الحياة ، فلا تتحيَّر ولا تلتفت ، فإن بَعُدَ أجلك وقد وصلت إلى المنزل فطوباك ، وهنَّأك الله بطيب المنزل والرَّوح والراحة التي نلتها ، فإنّك حللت بفِناء مَلِك كريم !

١٣٠ ب ولكنْ يا أخي لا بدّ لك من الجهد / في ترك الهوى حتى يرحمك فيردّ عليك ، فإذا ظفرت بذلك ذهب الجهد وسهلت الأمور عليك ، فالزم الطريق ! وعليك بالحزن والتضرّع والوحدة والصدق ، ولا تغرّنّك النفس مرّة فتغترَّ ! وما لم تأخذ بحلقة الباب مُغبَّرًا شَعِثًا فتنادِ نداء الغريب الذي قد أتى من شُقّة بعيدة منقطعَ الزاد حتى يرحمك ويفتح لك الباب .

فلا تلتفت إلى شيء لا إلى النفس ولا إلى غيرها ولا تشتغل بشيء إلاّ بأداء الفرائض ، ثم من بعد ذلك فضَعْ يدًا على يد . ولا تعمل شيئًا إلاّ بإذنه ، كما قال عمر ابن عبدالعزيز : السرور كلّه لمن وصل إليك .

(٢)

ذُكر في مسألة بعد هذه أنّ في الخبر عن إبراهيم قال : يا كريم العفو ، فلقيه جبريل فقال : يا إبراهيم ، هل تدري ما كريم العفو؟ قال : أخبرني يا جبريل ! قال : إنّه لم يرض بالعفو عن السيّئة حتى أبدل مكان كلّ سيّئة حسنة .

---

٣) صل نَ ، دَ : صلى جَ ٤) مثلك جَ : – نَ ، دَ ٧) من جَ ، دَ : – نَ ١٠) عليك جَ ، نَ : عينك دَ ١١) بذلك جَ ، دَ : بذاك نَ ١٣) فتناد : فتنادى جَ ، نَ ، دَ ١٧) توجد في جَ بهامش هنا مسألة أخرى لا توجد في نَ و دَ ، ويبدو أنّها ليست من هذه المجموعة للمسائل أصليًا ، لذا ما أوردناها ١٩) ذكر في جَ ، نَ : – دَ

....

١٦) عمر بن عبد العزيز ، قارن : EI

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : استجودوا نعالكم فإنّها خلاخيل الرجال. وقال رسول الله ﷺ : البسوا نعالكم فإنّها جمالكم.

(٣)

مسألة أخرى في الأدب

قال الإمام أبو عبدالله رحمه الله : سألتَ عن الأدب في الدين ، ما هو وكيف يكون الأدب ؟

فاعلم أنّ الأدب أن تنزل كلّ شيء وضعه الله في جسدك في موضعه فلا تزيله عن مكانه ، كما أنّك إذا دخلت على رجل منزلَهُ ، فرأيت كلّ شيء ممّا يوضع في المنازل ممّا يمتهن ويؤكل ويُشرب ويبسط ويفرش ويوضع وُضِعَ في مكانه ، فيقال للذي يلي ذلك : هذا أديب . وإذا / رأيت الأمتعة وهذه الأشياء التي وصفنا مطروحة في غير مواضعها : ما ١٣١ أ
كان يوضع في المخدع رأيته في الصُفّة ، وما كان يبسط ويفرش في الصفّة رأيته ملقىً في صحن الدار . فلمّا رأيت الأشياء في غير موضعها رأيت فسادًا ظاهرًا وتخوّفت الضياع ، أوحشك ذلك وسبق إلى قلبك سوء أدب من تولّى حفظ ذلك المنزل وسكنه .

وكذا جسدك : إنّما هو بيت من بيوت الله ، قلبك آنية من أوانيه ، وقد وضع في جسدك أصنافًا من خِلَعه : منها الغضب والرأفة والرحمة والشهوة والرغبة والرهبة ، فالأدب أن تُنزل كلّ شيء وضعه الله في جسدك من هذه الأشياء في موضعه كما وضعه ، فإذا هاج منك ذلك الشيء فلستَ بمَلوم عليه ، إنّما تُلام وتُحمَد على الاستعمال بهذا الهيجان ، فإنّه لم يضع فيك الغضب لتستعمله حيث ما تهوى ، ولكن إذا رأيتَ معصية استعملت الغضب الذي وضعه فيك له ومن أجله ، على المقدار الذي حدّه لك ، وهو أن لا تغضب غضبًا تقع في المعصية ، فإذا فعلت هذا فقد تركت الغضب في موضعه كما وضعه . فإذا غضبت ، غضبت له .

وكذلك الرأفة ، إنّمَا وضعها فيك لتستعملها له ومن أجله ، على المقدار الذي قدّره لك . ألا ترى أنه لمّا نزلت الحدود وأمر رسول الله ﷺ بإقامتها ، أخذت الرأفة من

---

٤) أخرى جَ ، نَ : — دَ ١٠) وصفنا جَ : وصفتها نَ ، دَ ‖ مواضعها نَ ، دَ : موضعها جَ ‖ ما — ١٢) موضعها جَ (بالهامش) : — نَ ، دَ ١٣) سكنه نَ ، دَ : يسكنه جَ ١٤) آنية : كذا في جَ ، نَ ، دَ ؛ لعل الصواب : إناء ٢٠) تركت نَ ، دَ : نزلت جَ ٢٢) ومن جَ ، دَ : من نَ

....

٢) المعجم المفهرس ٧ ، ٤٩٠ ب ؛ وقارن البيان ٣ ، ١١٠ ، ٦

أصحاب رسول الله ﷺ لمن أخذت عند ضرب الحدّ في الزناء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ، قوله : في دين الله ، يعني : بالزاني والزانية ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .

وكذلك كلّ شهوة وضعها فيك من الأكل والشرب والجماع واللباس والركوب
١٣١ ب والمشي / والنظر والاستماع والشمّ والبطش والسعي والكلام وغير ذلك ، فإنّما وضعها فيك لتستعملها له ومن أجله وعلى الحدّ الذي حدّه لك ، فإذا كنت كذلك فأنت أديب ، فهذا أدب الدين .

(٤)

مسألة

قال أبو عبدالله : أمّا ما ذكرتَ من قولك : إذا قوي لم يحتج إلى إذن في الأمور ، وإنّ الأربعين الذين يسمّون البدلاء لا يعملون إلاّ بإذن ، وسألت عن هؤلاء الأقوياء مَن هم ؟

قال أبو عبدالله : هؤلاء أُمناء الله في أرضه ، فإنّ العبد لا يكون أميناً ما دامت النفس تأخذ من الأمور نصيبها ، والأمين كالعبد المأذون له في التجارة والمُفوَّض إليه ، فما استدان فهو على المولى ، وما ربح فهو للمولى ، لا نصيب للعبد في كسبه ، وهو خادم من الخدّام .

والأربعون هم الذين حول العرش مَقاوِمُهم ، هم بَعْدُ في المكان ، حتى إذا خرجوا من المكان كانت مقاومهم في ملك الملك بين يديه ، فهم الأقوياء ، جادوا له بالنفوس فجاد عليهم بنفسه ، فكان لهم لأنّهم كانوا له .

فهم الذين يجوز للداعي منهم أن يقول : يا واحدي ! ولا يستحقّ هذا إلاّ أولئك ، ومن دونهم في المكانات والمراتب يقولون : يا واحد ، لأنّه توحّد بالربوبيّة لهؤلاء وتوحّد لأولئك بنفسه ، وهم الصِدّيقون العارفون ، فإذا انفرد العبد بالله وحده جاز له أن يقول : يا واحدي !

---

٢) إن – الآخر جَ ، دَ : – نَ   ٣) قوله – الله جَ ، دَ : – نَ   ١٠) أبو نَ ، دَ : الإمام أبو جَ
١٨) بين جَ ، نَ : وبين دَ   ٢١) ومن جَ ، نَ : او من دَ

....

٢) القرآن الكريم ٢/٢٤

ومن كان لنفسه عليه دعوى فدعا ربّه بهذا الاسم / استحال . كأنّه يقول له : متى كنتَ لنا واحدًا فنكونَ لك واحدًا؟ إنّما أنت لنا ولنفسك . ونفسك عليك متقدّرة ومتدبّرة . والقدرة والتدبير لي . ولها مشيئة وإرادة . والمشيئة والإرادة لي ! ١٣٢ أ

والأربعون نفوسهم معهم ، فلا يعملون بغير إذن . وإن تخطّى أحد منهم في أمر بغير إذن فقد سقط . لا يصعد عمله إلى الله مع حظوظ النفس . فهذه خيانة في مقامه ، فهو محجوب عن ذلك المقام بخيانته . والأقوياء قد جاوزوا هذه الحظوظ وخرجوا من رقّ النفوس .

(٥)

مسألة نبيلة شريفة

قال أبو عبدالله : جاءتني امرأة مستفتية ، فقصّت أنّ امرأة مات ولدها فامتنعت من فراش زوجها لحال المصيبة ، فلم تزل على ذلك حتى تمادى بها هذا الأمر واستوحش الزوج فجانبها . وكان في البيت تابع للزوج صَديق له يدخل ويخرج . فواقع هذه المرأة فأحبلها .

فقلت : سبحان الله ! ما أعظم بليّة هذه النفس ! لمّا منعت الحقّ عن نفسها ابتلاها الله بالحرام حتى افتضحت وبقيت نادمة خائنة . فكذلك كلّ مانِع حقّ الله في الشيء من الأشياء ، يبتليه الله بما يخاف فيه هلاكه .

وكذلك رأيتُ مَن منع حقوق الله من ماله يبتليه الله بإنفاقه في السرف والمباهاة وأنواع المعاصي . وكذلك رأيت من امتنع بنفسه أيضًا حتى لا يعطي الإنصاف والحقّ الذي يجب لله في وقت من الأوقات عليه أن يبتليه الله حتى يقع في المعاصي ، فكلّما مانعتَ الحقّ من نفسك فكأنّك اخترت الباطل فتُعطَى على اختيارك .

(٦)

/ مسألة ١٣٢ ب

قيل له : إنّ أبا سليمان ذُكر عنه أنّه قال : من أخبرك أنّه صار إلى الله بغير ترك الشهوات فوصل فلا تصدّقه . أوَ لا تعرف ربّي؟

---

٢) عليك ج : – ن ، د | متقدرة ن ، د : مقتدرة ج ١٠) جاءتني امرأة ج ، ن : – د

....

٢٣) قارن طبقات السلمي ٧٥

فقال أبو عبدالله : إنّ الله وضع بيته في الأرض ، ثم أذن خليله بأمره في الناس بالحجّ . ثم قال الله في آية : ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾ ، حيث كانوا منه قربوا من البيت أو بَعُدوا ، ولا محالة يأخذهم شقّ الأنفس ، فكيف يَطمع أحد في الوصول إليه بالراحة والشهوات واللذّات للأنفس؟ وإذا أُعطِيَت النفس مناها وشهواتها فأيّ مشقّة بقيت عليها؟ والهوى مقرون بالنفس ، فكيف يصل إلى الله من كان خادمًا للهوى والنفس الأمّارة بالسوء؟ ليتك إذا عاديته فيه يتركك أن تلحظ هكذا إلى نحوه !

(٧)
مسألة

قيل : ما معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ﴾؟

قال : الكدح كالقدح ، فقدح الزند بقدّاحته حتى يوري الزند النار المنكمن فيه ، والآدميّ قدّاحته قلبه وزنده نفسه وتقدح بمعرفته حتى توري نور الطاعة فيتوجّه إلى ربّه ، وكذلك المعصية يقدح قلبه نفسه حتى توري ظلمة المعصية.

وقول الله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ، قال في التفسير : منتصبًا ، وكلّ شيء من الحيوان منكمش في الرحم غير الآدميّ ، فإنّه منتصب لأنّه خُلق للخدمة ، وهؤلاء سخرة ، فالخادم منتصب بين يدي من يخدمه.

وقيل : وعد الله الصابرين على المصائب ووعدهم من الصلاة والهدى والرحمة.

قال : فإذا كانت المصائب بالدنيا تبشّر بهذا أن يُعطَى يوم القيامة فكيف لمن قدم على ربّه غدًا بمصائب الدين ، ورُوي عن حنظلة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : ما جاءني جبريل عليه السلام إلاّ أمرني بهاتين الدعوتين : اللهمّ ارزقني طيّبًا واستعملني صالحًا.

---

٢) آية جَ ، نَ : آية أخرى دَ ٨) مسألة نَ ، دَ : وقال في مسألة زيادة وقد مضت جَ ، والجزء الأوّل من هذه المسألة كلّه ناقص في جَ ٩) معنى نَ : — دَ ‖ فلاقيه دَ : — نَ ١٤) منكمش دَ : منشكس نَ ١٦) وعد : هنا ابتداء جَ

....

٢) القرآن الكريم ١٦/٧
٩) القرآن الكريم ٨٤/٦
١٣) القرآن الكريم ٩٠/٤ ‖ قارن : جامع البيان ٣٠ : ١٢٦
١٨) — ٢٠) فيض ٥ . ٤٣٨ ، رقم ٧٨٨٢ وقارن : نوادر الأصول ٢٠٢ ، أصل ١٦٠

وعن عمر بن عبد العزيز، قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطّلب، فقال: هل فيكم أحد من غيركم، قالوا: لا، قال: فإذا أصاب أحدكم همّ أو حزن أو غمّ أو جزع أو صغر أولاد فليقل سبع مرّات: الله ربّي لا أشرك به شيئًا.

قال أبو عبدالله: العارف مفتوح الباب / مأخوذ بقلبه ونفسه، فقد احتشى قلبه إيمانًا ١٣٣ أ
واحتشت نفسه حلاوة الإيمان، وتعلّق قلبه وتعلّقت نفسه بحلاوة تدبير الله، فما تناول من الدنيا فإنّما يلاحظ تدبيره ويصير له خازنًا من خزّانه بإمساكه على نوائب الحقّ، فليس هو بآخذ، إنّما هو متناول لما أُعطي لأنّه إنّما يقبله من الله وينظر إلى تدبيره له.

والصادق يأخذ أخذًا ويصيّره عدّة لنوائب نفسه كي يتجوّز به من آفات النفس في وقت الحاجة إليه – فالعارف خازن من خزّان الله، والصادق خازن من خزّان النفس يخزن لها كي لا تفتقر، والعارف يتناول عن الله ويمسك لله ويعطي لله.

(٨)
مسألة

قال أبو عبدالله: إن أردتَ أن تكون لله وليًّا موافقًا له في أموره فأَنزل الأشياء منازلها التي أنزلها الله، وقبيح من العاقل أن ينزل شيئًا من أشيائه منزلة فوق ما أنزله الله أو دون ما أنزله ربّه، فإذًا أنت قد عظّمت ما صغّر الله وصغّرت ما عظّم الله.

فسُئل: كيف يكون هذا؟

قال: إنّ الله خلقك على سبيل المضمار والسباق غدًا، فجعل الدنيا لك جسرًا، والأحوال دُوَلاً، والآخرة مستقرًّا ومسكنًا، ونعيم الجنّة قرّة عين لنفسك وقُرب مولاك قرّة عين لقلبك، فالساقط ذهب فجعل الدنيا مستقرّه ومسكنه، والآخرة مأموله ونعيم الجنان شهوته وأمنيّته، ونفسه قرّة عينه، يبوئ في الدنيا لنفسه ويزيّنها ويجمعها، ومع ذلك يأمل
الآخرة أن يجمع له إليها، فإذا ذكر الجنان / اشتهاها، وإذا وجد في العاجل عزًّا ونيلاً ١٣٣ ب
وشهوة ووجد راحة ونعمة ولذاذة قرّت عين نفسه لذلك.

والمستقيم أنزل كلّ شيء منزلته، فكلّما نظر إلى الدنيا رآها جسرًا، فلم يطمئنّ إلى

---

٢) أو حزن أو غم ج. ن: أو غم أو حزن د ٦) فإنّما ج، ن: فلا د ‖ بامساكه ج، د: فإمساكه ٧) لما ج، ن: ما د ١٤) أشيائه: شيئه ج. ن: نشئه د ‖ أنزله ج، ن: أنزلها د ١٦) يكون ن. د: – ج

....

١) – ٣) المعجم المفهرس ٣. ١٠٩ ب

الجسر ولم يستعمل بعمارتها لأنّه رأى نفسه يركض بها إلى الآخرة في اختلاف ليله ونهاره.

ونظر إلى الأحوال فرأى مدبّرها قويًّا قاهرًا يقلّبها كيف يشاء فلم تقرّ قرارًا، فلمّا أدّى الأمانة في هذه الأشياء ونفى الجور عن نفسه أكرمه الله بعطاياه، فصار قرّةَ عين قلبه قربُ مولاه، ولمّا رأى أنّ الأحوال لا قرار لها جعل قرار قلبه عند وليّ الأحوال، فلم تأخذه الأحوال عند نزولها ولا ضعضعته عند حلولها.

وبشّر الله محمّدًا ﷺ بالمغفرة لِما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فكان في هذا القول إعلامًا أنّه سيذنب بعد المغفرة وقد غفر له الذنب الذي يعمله فيما بعد هذا قبل أن يعمله، فقد أقامه مقام هذه الكرامة التي خصّها وأخبر بأنّه سيذنب بعد هذا المقام.

فمن ههنا قلنا إنّ العارف مع علوّ مرتبته ووصوله أنّ الذنوب لاحقة به على جري المقادير لا بدّ منها، وليست الذنوب من أخلاقه ولا من عادته، إنّما هي جارية عليه من جهةٍ أنّه لا بدّ له من مواقعها، وقد قال الله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾،

وبلغنا أنّ آدم عليه السلام لمّا قعد على السرير في الجنّة كان موضع سريره تلقاء الشجرة التي نُهي عنها، كان آدم عليه السلام معرضًا عنها، إذا رأى الشجرة أعرض
١٣٤ أ صفحة خدّه، حتى وقع ما أراد أن يكون خليفته في أرضه ويستخرج من صلبه / الأنبياء والمرسلين والصدّيقين والحكماء والعلماء والشهداء والمؤمنين، فكذلك بقي في الكرام من ولده الى يوم القيامة ذلك الخُلق، إذا مرّوا باللغو مرّوا كرامًا صفحوا وأعرضوا لأنّه الشيء الذي نُهوا عنه، ومن لم يصفح لم يتخلّق بخلق الله فهو من اللئام.

(٩)
مسألة

قال الإمام أبو عبدالله: إنّ قول لا إله إلاّ الله مبناه على أربعة أركان، فمن جاء بها يوم القيامة على هذه الأركان الأربعة جاء بها قائمة، ومن وهن ركنه زلّت قدماه.

والأركان الأربعة الأمر والنهي والقناعة والرضى: فالأمر فرائضه، والنهي محارمه،

---

٩) أنّ جـ: الى ن، د   ١١) مواقعها ن، د: مواقعتها جـ   ٢١) مبناه: مبنية جـ، ن، د

....

٦) قارن القرآن الكريم ٢/٤٨

١١) – ١٢) القرآن الكريم ٦٣/٢٣

والقناعة السكون إلى ما قسم الله له من المعاش، والرضى السكون إلى ما قضى الله من محبوب ومكروه وعن طلب زيادة أو نقصان.

فمن وافى بهذا الصراطَ عند مجاوزته وضع قدمه على «لا» فرمى به إلى الله في سرعة اللمحة والطرفة، ومن بقي على الصراط بعد ما وضع قدمه على «لا» فإنّما يبقى ما بقي لأنّه لم يكن لقوله «لا» من القوّة ما يُرمَى به إلى الله سريعًا لأنّه قوله «لا» هو نفي وبراءة من كلّ شيء سواه أن تكون هذه الأربعة التي وصفناها يستحقّها أحد سواه، كان في قوله «لا» صادقًا على الحقيقة حقّ الصدق.

وإنّما يكون جسر كلّ رجل عَمَلَه، ألا ترى أنّه يضيق ويتّسع، وإنّما جميع عمله لا إله إلاّ الله مع الوفاء بها صادقًا، فإذا كان هذا هكذا كان لقوله «لا» من النور ما إذا وضع قدمه عليها رُمي إلى الله في أسرع من الطرفة والبرقة، على حسب بطئه في الوفاء / ١٣٤ ب
بهذه الخصال في دار الدنيا وتقصيره فيها تبطئه وتزلّ قدمه.

(١٠)

مسألة في شأن الرزق

قال أبو عبدالله: وجدنا من سكنت قلوبهم على الرزق من أجل يقظتهم على وجهين: صنف منهم الزهّاد وصنف منهم العارفون أولياء الله، فأمّا الزاهدون فأيقنوا بوعده وسكنت نفوسهم وقلوبهم على ضمانه لِما استنارت قلوبهم بنور اليقين، ثم لم يسلموا من الحيرة والاضطراب – وإن دقّ – ومن الحزازة وإن خفيت.

وأمّا العارفون فإنّهم فقدوا هذا من نفوسهم واستراحوا منه.

قيل له: لِمَ؟

قال: لأنّ الزاهدين سكنت نفوسهم على ضمانه مُبهَمًا، وفي النفس شهوة، فوسوست النفس فقالت: لعلّ الذي ضُمن لي خلاف شهوتي من الإبطاء والقلّة

---

١) السكون جَ، نَ: الركون دَ ٣) وافى جَ، نَ: وفي دَ ٥) لا جَ: – نَ، دَ ١٠) بطئه نَ، دَ: بطاءه جَ ١١) تبطئه نَ، دَ: يبطائه جَ ١٣) مسألة في شأن جَ، نَ، دَ: باب في ى ١٤) وجدنا من جَ، نَ، دَ: ووجدنا أن المتنبهين ى ١٥) منهم العارفين جَ: العارفين نَ، دَ، ى ١٦) نفوسهم وقلوبهم نَ، دَ، ى: قلوبهم جَ ١٧) الحيرة جَ، نَ، دَ: الحيوة ى (تحريف) ١٨) فإنهم جَ، نَ، دَ: – ى ١٩) قيل له جَ، نَ، دَ: فقيل ى ٢٠) قال جَ، نَ، دَ: فقال ى || لأنّ جَ، نَ، دَ: ان ى ٢١) فقالت جَ، نَ، دَ: وقالت ى || خلاف جَ، نَ، دَ: بخلاف ى

والدون ، وحركات الشهوة في النفس من التعجيل والكره ، فتحيّرت النفس ووقعت في الاضطراب والخوف من هذا الأمر : منعِ الرزق وفَوتِه .

والعارفون عملت رأفته ورحمته على قلوبهم فغُلبت ، وعلموا من كرمه ما سكنت نفوسهم لديه – بمنزلة رجل له عبد ولعبده أبوان ، فذهب هذا السيّد فوضع ألف درهم على يد رجل برّ تقيّ وفيّ فاضل لينفق على عبده ، فهذا العبد وإن وثق بهذا البرّ التقيّ وسكن قلبه على وفائه اضطرب قلبه خوفًا على وفاء منيته وشهوته ، وأن لا يوافق إجراؤُه عليه
١٣٥ أ وتدبيرُه في إجرائه محبّةَ هذا العبدِ ، / فلو أنّ السيّد وضع هذه الدراهم على يدي أبوي هذا العبد سكن قلبه واطمأنّت نفسه لِعِلمه برأفة أبويه ورحمتهما عليه ، فسكنت نفسه من الوجهين جميعًا : من الوفاء برزقه ومن قِبَل كيفيّة الرزق ، والأوّل سكن قلبه من قبل الوفاء ولم يسكن من قبل الكيفيّة ، فتلك الحزازة باقية والحيرة كائنة والوساوس داخلة .

فالزاهد يتناول رزقه من الثقة والضمان لأنّه لم يتّصل به ، والعارف يتناول من الكرم والرأفة والرحمة ، حسُن ظنّه به من الثقة لأنّه مقام الاتّصال ، فاتّصاله بخالقه أكثر من اتّصال هذا الولد بأبويه ، وأين يقع اتّصال الولد من اتّصال العبد بمولاه إذا مُكّن له بين يديه ؟

(١١)

مسألة

قال : وجدنا أنّ العبد إذا كان ذا صورة وجثّة فإذا دُفع بإصبع وقع ، وإن ضرب بحديدة أو بَرَدَة وقع ، لا يساوي شيئًا لأنّه ضعيف ، وإن كان في صورته دمامة وفي خلقه اتّضاع وكان قويًّا مكثرًا يحتاج في إمساكه إلى خليق ، فكلّما ازداد من هذا ازداد ذِكرًا ، حتى إنّ الرجل ليكون صريعًا فيذهب ذكره ، ويكون راميًا عن قوس ممتنع شديد ،

١) والكره ج ، ن ، د : الكثرة والأرفع ى ٢) الاضطراب والخوف ج ، ن ، د : اضطراب وخوف ى ‖ وفوته : + ولكن من خلاف الشهوة والنيّة ى ٣) عملت ج ، ن ، د : علموا ى ‖ على – فغلبت ج ، ن ، د : فغلب على قلوبهم ى ‖ سكنت ن ، ى : سكن ج ، د ٦) وفاء منيته ن ، د : وفاق منيته ج : خلاف المنية ى ‖ شهوته ج ، ن ، د : الشهوة ى ‖ وأن لا ن ، د ، ى : والا ج ٧) فلو أن السيد ج ، ن ، د : ولو أنه ى ٨) فسكنت نفسه ج ، ن ، د : فسكن قلبه ى ٩) من الوفاء ج ، ن ، د : من قبل الوفاء ى ١٠) قبل ج ، ن ، د : – ى ‖ والوساوس ن ، د : والوسواس ج ، ى ١١) من الثقة والضمان ج ، ن ، د : من الضمان ثقة به ى ‖ لأنه – به : – ى ‖ يتناول ج ، ن ، د : يتناوله ى ١٢) من الثقة ج ، ن ، د : مع الثقة ى ١٣) الولد – الولد من : – ى

فيذهب ذكره، والذي تضعف قوّته عن هذا يتّضع ذكره، وإن كان عبدًا اتّضعت قيمته.

فوجدنا عمّال الآخرة كذلك أيضًا: عبد تديّن بظاهر الحال من الصوم والصلاة والحجّ والجهاد والصدقة، فإذا نُظر إليه قيل: كامل من العبيد، فإذا جاءت حميّة كلمة غَضَبٍ صار شيطانًا وصار أبعد من دينه من الثريّا، وإن تراءى له طمع في درهم أو ضرر / في درهم وجدتَه كالمنسلخ من دينه، فهذا ذاك العبد الذي تزيّن بصورته ١٣٥ ب وجثّته، فإذا دُفع بإصبع وقع، والذي لا يستفزّه طمع ولا غضب ولا رهبة ولا حبّ الدنيا، فهو كالصريع الشديد الذي يعلو أصحابه صرامةً وشِدّةً، ومن أَضعَفُ ممّن يستفزّه شيطان بريح الشهوة، فهو في نفخه ونفثه وهمزه يطير به كريشة بفلاة من الأرض، فانظرْ كم بين العبدين من تفاوت القيم في دار الدنيا، فعلى ذلك تفاوت الرجلين في الآخرة.

وممّا يحقّق ما قلناه ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه مرّ بقوم وهم يعالجون حجرًا، فقال: ما هذا؟ قالوا: حجر الأشِدّاء! قال: ألا أدلّكم على من هو أشدّ منه: رجل غلب أربع أنفس عند الصراع، فصرعهم، فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: رجل سُفّه عليه فحلم فغلب نفسه وشيطانه ونفس صاحبه وشيطانه — أو كما قال.

(١٢)

مسألة

وغاية التواضع أن تترك الاختيار في كلّ وقت وأمر وحال، ووجدنا في أخباره المرويّة عن رسول الله ﷺ من فعله وشمائله ما يدلّ على أنّه كان كافًّا عن الاختيار لنفسه، فيُلقي بيديه سِلمًا، ورسولنا ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وقال: إنّ ربّك يخيّرك بين أن تعيش في الدنيا ما شئت وبين أن تلقى ربّك، فقال: حتى يختار لي ربّي! فرجع جبريل إلى ربّه فقال للملك الموت: لا تنزعنّ عن محمّد حتى أرجع، فرجع جبريل / فقال: إنّ ١٣٦ أ ربّك اختار لك لقاءه، فجعل يقول: لِقاءَ ربّي لقاءَ ربّي! حتى خرجت نفسه.

فهذا غاية التفويض، لم يختر الحياة مع النبوّة والعصمة والكرامة، ولا اختار لقاء ربّه وقد علم ما في لقاء ربّه، لم تهيّجه لذّة العبودة ولا لذّة اللقاء، فأيّ قلب أطهر من

---

٥) طمع نَ، دَ: طمعًا جَ ٦) ضرر نَ، دَ: ضررًا جَ ١٣) أربع نَ، دَ: أربعة جَ || هو دَ: هم جَ، نَ ١٨) فيلقي نَ: ملق جَ: فيلق دَ ١٩) وقال جَ، نَ: فقال دَ ٢١) جبريل جَ: — نَ، دَ

هذا . أو أيّ نفس أذكى من هذه وأحلى من الأسباب ﷺ؟

قال : وما سألت عن قول رسول الله ﷺ في وصيّته لابن عبّاس رضي الله عنهما : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك؟

فهذان حفظان وثوابان ، فأمّا الحفظ الأوّل فهو أن يحفظ الله عند كلّ أمر وينتهي عمّا نهى ، فيستوجب بذلك منه حفظه من يومه إلى وصوله إلى باب الجنّة ، وهو كقول الله : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ، فالنصرة لله أن تجاهد هواك عند انبعاث كلّ شهوة من نفسك ممّا لم يأذن به الله تعالى ، فتصدّها عن أن يستأنس بها القلب فيأمرَ بذلك الجوارحَ ، فإذا كان ذلك منك استوجبت النصرة منه في كلّ وقت من تلك الأوقات من هذه الدار إلى باب الجنّة .

واعلم أنّ الله خلق هذا الآدميّ في كبد عظيم وهيّأ له دارين ، في إحداهما ألوان النعيم وملأها نورًا وحبورًا وسرورًا ، وفي إحداهما ألوان العذاب وحشاها بالسخطة والغضب وملأها غمومًا وثبورًا من قَبلِ أن يخلقه ، ثم خلقه وسخّر له ما في السموات وما في الأرض ، وبعث رسولاً ودعاه إلى دار السلام ، ثم خصّ الهداية فقال : ﴿وَيَهْدِي مَنْ
١٣٦ ب يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، ثم جعل على طريقه من هذه / الدار إلى باب دار السلام ألوان البلاء وعجائب الشدّة من البلاء والأسقام والأوجاع والمصائب والخوف والأذى والتعب والنصب والذلّ والفقر وأنواع المكاره .

ثم يبلوه غدًا عند إقبال الآخرة بعجائب الآخرة ودواهيها : من معاينة الرسل ، ونزع الروح من الشَعر والظفر والمخّ والعظم واللحم والدم ، وذوقِ مرارات الموت وتجرّع كأسه الأليم ، ومحاورة منكر ونكير ، ووحشة اللحد ، ودخول العذاب فيه ، ثم النشور ، ثم الحشر مع سابق وشهيد ، ثم الصراط ، والحساب ، والميزان ، والعرصات الثلاث ، وتطاير الصحف في الأيدي ، والعرض الأكبر ، والخلاص من الحقوق ، والبراءة من

---

٢) قال وما نَ ، دَ : وأمّا ما جَ ٤) حفظان جَ ، نَ : حفظا دَ ٩) الدار جَ ، نَ : — دَ ١٢) له نَ ، دَ : — جَ ١٣) ويهدى جَ ، نَ : والله يهدى دَ

....

٣) المعجم المفهرس ١ ، ٤٨١ ب
٦) القرآن الكريم ٧/٤٧
١٣) — ١٤) القرآن الكريم ٢٥/١٠

المتظلّمين. فإنّك مطلوب هناك بمثقال حبّة من خردل من الظلم، ثم قال: ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾، ثم الوصول إلى باب الجنّة، ثم الدرجات في الجنّة ترقّيًا.

فأنت محتاج في كلّ شيء من هذه الأشياء عندما ينوبك وقته إلى حفظ الله ونصرته حتى تسلم منه لأنّهم كلّهم جنوده، وإذا حفظته عند كلّ أمر ونهي فقد نصرت حقّه، فتستوجب منه أن يحفظك في هذه المواضع وينصرك، أمّا في الدنيا فيحفظك ولا يكلك إلى نفسك وينصرك عليها إذا جاهدتها. فجاء نصر ربّك فيقهر نفسك حتى لا تجد إليك سبيلاً تسبيك.

وأمّا في الآخرة، فيأتيك رسله بالبشرى ويمهّد لك في لحدك ويخلّصك من أيدي منكر ونكير ويثبّتك بالقول الثابت ويوسّع لك في مضجعك وينوّر عليك ويجيزك الصراط في أعمّ سلامة ويُثقل ميزانك ويعطيك كتابك بيمينك وييسّر عليك ويريحك / ١٣٧ أ
من الموقف ويحملك، فضلاً من ربّك تفضّل به عليك، لو عرضك للحساب هلكتَ.

وأمّا قوله: احفظ الله تجده أمامك، فأَن تحفظه عند كلّ لحظة، لا يلحظ قلبك إلى شيء دونه تعلّقًا به فتكونَ معه في الأشياء، ولا يتعلّق قلبك بشيء سواه، ثم تترقّى إلى درجة أعلى من هذه – إن وفّقك الله، فتكونَ به في الأشياء وتنال به منازل القربة في الدنيا والآخرة، لَتستوجبُ بذلك منه أن تجده أمامك في كلّ وقت وعلى كلّ حال.

وأمّا في الدنيا ففي قبضته. فبه تقوم وبه تقعد وبه تقبل وبه تدبر وبه تقبض وبه تبسط وبه تسمع وتبصر وبه تعلم وتعقل. وأمّا في الآخرة، فيأتيك رسوله مع التحيّة والبشرى والتحف. وهو قوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾. فهذا العبد قد وجده أمامه. قد هيّأ له ما وصفنا وأضعافه، كلّمَا أتى على شيء ممّا ذَكرنا وجده مهيّئًا.

قال: الحفظ بالأعجميّة: نكاه داشت، والذكر: ياذ داشت.

وأمّا قوله: تَعَرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدّة: فإنّ التعرّف إليه أن لا يفقدك

---

١) من خردل جَ، نَ: – دَ ٣) فأنت جَ، نَ: فإنك دَ ٥) فتستوجب نَ: تستوجب جَ، دَ
١٣) تترقى نَ، دَ: ترقا جَ ١٤) به نَ، دَ: منه جَ ١٧) وتبصر جَ، نَ: وبه تبصر دَ

....

١) – ٢) القرآن الكريم ٢١/٤٧
١٨) القرآن الكريم ٥٦/٨٨–٨٩
٢٢) فيض ٣: ٢٥١، رقم ٣٣١٧

عند كلّ أمر ونهي ، فإنّ الأمر والنهي محنة الله لعبده لاستخراج ضميره ، فإذا تعرّفت إليه بما ابتلاك به كنت كهيئة العارفين ، فيعرفك في الشدّة أن يعينك ولا يكلك إلى نفسك . وإذا جاءك أمره ونهيه فضيّعت الأمر وتعدّيت إلى النهي كنت كهيئة المنكر لتوحيده . فإذا جاءت الشدّة عاملك مثله كما قال الله : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ .

وبلغنا أنّ العبد ينادي في ظلم القيامة : يا ربّ يا ربّ فيقول الربّ : من أنت؟ إنّي لا
١٣١ ب أعرف إلاّ من تعرّف إليّ في دار / الدنيا !

فهذا تعرّف المطيعين ، وأمّا تعرّف الأولياء فإنّهم تعرّفوا إليه بالقيام بين يديه ، عارفين له ربًّا ، مُلقين بأيديهم إليه سلمًا ، باذلين إليه نفوسهم ، مشتاقين إليه لقاءً ، فكان من معرفته إيّاهم في الشدّة أن قبض على قلوبهم ، فكأنّها في قبضته وكلايته ورعايته ، فبه يتقلّبون ويتصرّفون ، وعند الموت حيّاهم وبشّرهم ورفع عنهم جهد الموت وكربه ويدخلون الجنّة بغير حساب .

(١٣)

مسألة في الدنيا

قال : من طلب الدنيا فاتته الآخرة ، ومن طلب الآخرة فاتته الدنيا ، ومن طلب الله وجد الله ووجدهما ، فطالب الدنيا زاهد في الآخرة وأعمال الآخرة مُقتَّرة عليه ، ومن طلب الآخرة زهد في الدنيا ، فعرض الدنيا مقتّر عليه ، وطالب الله موسّع عليه في الدنيا والآخرة لأنّ رغبته انقطعت عنهما إليه وشغل بقربه عنهما ، فوُسّع عليه كلتاهما ، فإن ضيّق عليه شخص لم يتبيّن عليه ، وإن وسّع عليه شخص لم يتبيّن عليه – بمنزلة من ركب البحر فإن ملئت سفينته حبابًا مِن ماء لم يعظم في عينيه ذلك الماء الذي في الحباب في جنب ما يأخذ بصره من ماء البحر ، ولم يأخذ من قلبه مكانًا لأنّ البحر قد أخذ بقلبه ، وإن ضيّق عليه الماء لم يتبيّن عليه أيضًا لأنّ رؤية البحر وكثرة الماء ممّا يعينه – وهكذا شأن النفس إذا فقدت الشيء الذي تحتاج إليه اهتاج منها ما يزيدها فقرًا إلى ذلك الشيء ، وإذا وجدته سكنت كالمستغنية .

---

٧) المطيعين نَ ، دَ : المطعين جَ ١٧) اليه جَ ، نَ : اقامه دَ ٢١) وهكذا جَ ، نَ : وهذا دَ
٢٣) وجدته : وجدت جَ ، نَ ، دَ

....

٤) القرآن الكريم ٦٧/٩

قال له القائل : قد عرفنا طالب الدنيا وطالب الآخرة ، فكيف يكون طالب الله تعالى؟

/ قال : الذي يريد الله في جميع عمره على كلّ حال ، وأن يكون مقصودُه في ١٣٨ أ
جميع حياته أن يكون لله كما خلقه .

قيل : وكيف خلقه؟

قال : خلقه عبدًا واقتضاه العبودة ، فالعبودة له أن يراه في كلّ وقت على كلّ حال عبدًا كما خلقه . فإذا مال بهواه فقد مال عنه وعن العبودة إلى الربوبيّة لأنّ راكب الهوى متجبّر ، والجبّار لا يكون في صورة العبيد . فأيّ عمل من أعمال البرّ من الصوم والصلاة والحجّ والجهاد والصدقة لم يكن يُغنيه من ذلك إلاّ أن يُريد من نفسه العبودة له .

قيل : فعلى أيّ شيء قرار هذا العبد؟

قال : على الخشية والرغبة والرهبة والمحبّة والشوق والهيبة والتعظيم والحياء ، فلا يزال العبد طالبًا لهذه الأشياء من قلبه حتى يقف به على حدود المراقبة ، ثم يصير منه إلى درجة الإشفاق والحذر ، فيكون منه أبدًا على حذر في كلّ أمر إن رأى طاعة أو نعمة أو عصمة ، فهو في تلك الأشياء على وجل وحذر لأنّه ربٌّ يفعل ما يشاء ، فوقف قلبه على مشيئته ماذا يشاء فوقع في غيب لا يُدرَك ، وما دام قلبه ناظرًا إلى الحكمة والتدبير لم يتحيّر القلب . لأنّ من حكمه أن يثبت على الطاعة ، ومن تدبيره أن يعطف على العباد في الدنيا ويرحمهم ، فإذا جاوز قلبُك الحكمةَ والتدبيرَ صار إلى المشيئة فبهت فوقع في وجل ، وكان منه في كلّ نعمة وشدّة على حذر ، وفي كلّ طاعة وبلوى على حذر .

ورُوي عن عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فيما يروي عن ربّه أنّه قال : يا عيسى احذرني كما تحذر السبع الضاري .

وفي بعض الحديث / : المؤمن كالطير الحذر لا يأمن ولا يستقرّ يخاف أن يُؤخَذ ، ١٣٨ ب
فهذا لا يأمن ولا يستقرّ قلبه مخافةَ أن يأخذه .

(١٤)

مسألة

قال : وجدنا العبد المَسبيّ لا يطلقه مولاه ما دام مطّلعًا على قلبه أنّه يريد الرجوع

---

٩) يريد ج : يريه ن ، د ١٥) غيب لا ن : غيب ولا ج : عسه لا د ٢٥) العبد ج : أن العبد ن ، د

إلى وطنه الذي سُبي منه ، فإذا رآه قد وطّن نفسه على المكث رفع عنه إلزامه ، ثم لا يستخلصه لنفسه ما دام مطّلعًا على قلبه أنّه يهوى ذلك الموضع .

فكذلك العبد ما دام لا يوطّن نفسه على المكث على طاعة الله لا يقبله ولا يسهّل عليه الطاعة ولا يُعصَم ، وإذا وطّن نفسه على ترك الهرب أطلق له في الطاعات كما رُفع الطوق عن الهنديّ حتى ينفسح في أمور مولاه.

ثم لا يستخلصه لنفسه ما دام يراه مائلاً إلى هواه في الطاعات يعمل منها ما هوي وما لم يهو تركه ، فقلبه مع الهوى ، فهذا كعبد قلبه مع وطنه الذي سُبي منه ، فليس يُؤتَمَن ، فأمناء الله في أرضه عبيده وقلوبهم بين يدي خالقهم ، قد فارقوا الهوى وهربوا حتى استقرّوا هناك عنده.

(١٥)

مسألة

رأينا المتّقي إذا دخل بيتًا فرأى هناك سوء مذهب وقلّة رِعة وفضولاً وتخليطًا نفر من ذلك البيت ولم يقرّ قرارًا لأنّه رأى الأضداد ولم يوافقه ما رأى فلم يسكن هناك – فكيف يطمع الذي يُرَى في قلبه التخليط والأدناس أن يقرّ فيه الخوف والحكمة والعلم والهدى؟

(١٦)

١٣٩ أ / مسألة

سئل : ما علامة قبول التوبة؟

قال : أن يفتح عليك بابًا من الطاعة لم يكن لك قبل ذلك.

ومثل ذلك مثل رجل أتى ملكًا من الملوك فقال : إنّ للرعيّة منك ما للعامّ ، وهم في ذلك يطيعونك ، وأنت لهم ملك على حسب ذلك ، إنّما تبذلهم من جميل نظرك وبرّك ولطفك وعطاياك حسب ما هم لك ، وأنا أريد أن أكون لك طوع يدك على كلّ حال ، يقول هذا ويُرفَع إلى الملك وهو محجوب عنه.

---

١) على المكث جَ : نَ : – دَ ٣) نفسه نَ : – جَ ، دَ ١٩) أن جَ ، نَ : – دَ ٢١) يطيعونك نَ ، دَ : يطيعوك جَ ‖ تبذلهم نَ ، دَ : تبذل لهم جَ ‖ وبرّك نَ ، دَ : – جَ ٢٢) لك نَ ، دَ : – جَ

فمن علامة قبول الملك إيّاه أن يستعمله على أدنى عمل من أعماله مثل أن يقول له : رشّ الباب واكنسه كلّ يوم ، فهو لا يتجبّر عليه في الأعمال إن كان صادقًا في قوله ، ولا تأخذه الأنفة ولا يستحقر ذلك ، بل يفرح به لأنّه أراه توليته إيّاه ذلك أنّه قد قَبِلَه.

فهو من رجال الملك يعمل له عمله. قد بايَن الرعيّة، فإذا وفَى له ذلك وناصحه ائتمنه على العلوفة فوجده أمينًا، نقله إلى فِنائه لعمل أسبابه. فإذا وفى له وناصحه فيه استعمله على القرى ، ثم على الكور ، ثم على الشُرَط ، فكلّما وفى له في ذلك الذي قلّده زادت مرتبته عنده حتى يصير صاحب سرّه وخزانته وخادِمَه بين يديه ، فائتمنه على جميع مملكته وتنفيذ أموره ، فهو يعزل ويولّي.

فكذلك التائب : علامة الصدق من توبته قبوله ، وعلامة قبوله أن يفتح عليه بابًا من العبادة صومًا أو صلاة أو استظهار قرآن أو حجّ أو جهاد أو عمل من هذه الأعمال ، فإذا وفى له بذلك مع اجتنابه جميع المعاصي نحّاه من ذلك إلى درجة أرفع من ذلك ، وهو رياضة النفس ، فإذا وجده قد وفى له بذلك نقله إلى أن ولاّه حتى يرقّيه إلى درجة الأمر بالمعروف والنهي عن / المنكر ، ثم يرقّيه درجة لدقائق الورع في الباطن ، ثم إلى ١٣٩ ب
تطهير القلب من الآفات حتى سلم القلب من النفس ، فيلقى إليه سلمًا لا يريد إلاّ ما يريد ، فصار في عصمته وكلاءته ، فولاّه خزانته وصيّره خادمه وصار من أمنائه على حكمه.

والناس في التوبة رجلان : رجل تاب إلى ربّه في أمره ونهيه ، ورجل تاب إلى ربّه في جميع ما يستعمله في السرّاء والضرّاء والعسر واليسر والمنشط والمكره ، تذلّل لمولاه وانقاد له عبودةً وبذل نفسه وماحوت.

فالأوّل يقبل توبته ، والثاني يُقبَل بيديه ، وهو قول رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربّه : فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ، فبي يسمع وبي يبصر ، الحديث ، وقوله : إذا أحببت عبدًا لي جعلته في قبضتي.

شأن المعصية أنّه تهيج من النفس الشهوة ، فإذا عزم القلب بثّت أثرها على القلب ،

---

٦) له في جَ : في نَ : – دَ ″ ذلك جَ ، نَ : بذلك دَ ٧) زادت نَ : زاد جَ ، دَ || فائتمنه نَ ، دَ : فيأتمنه جَ ١٨) تذلل نَ . دَ : تذللاً جَ

....

٢١) قارن : ٣٤ . ٤

وإذا عملت الجوارح بثّت أثرها على الجوارح وأُثبتت في الصحيفة ، فإذا تاب ونزع بالجوارح ذهب عن الجوارح وبقي الأثر على القلب ، وإذا ذهبت شهوته من القلب ذهب أثره من القلب ، والشهوة باقية بعدُ في النفس والحياء باق على القلب ، وهو شبيه بالظلّ ، فيستحيي القلب مرّة . فإذا استحيا القلب سُتر عن الكتاب في الصحيفة .

فإذا ماتت الشهوة من القلب وجد ألمه إذا ذكره ، فإذا ألم القلب من ذكره مُحي الكتاب وبُدّل مكان كلّ سيّئة حسنة .

وعلم هذا موجود في التنزيل ، وأكثر منه قول رسول الله ﷺ : إذا أذنب العبد ذنبًا
١٤٠ أ نُكتت في قلبه نكتة سوداء / فإذا تاب ونزع صُقل قلبه .

فالتوبة بالقلب والنزوع بالجوارح ، فإنّما يصقل قلبه لأنّه رجع إلى الله مطيعًا ، فصقله بنور العطاء ، ثم يرجع إلى الله عبدًا فصقله بنوره ، فما دام القلب مائلاً إلى شهوة معصية — وإن نزع بالجوارح فإنّ قلبه غير تائب توبة الإخلاص والوفاء ، وله حكم التوبة بما عزم . كما أنّ المؤمن هو مؤمن له حكم الإيمان بما عزم واعترف ، وهو مطلوب ، ثم هو مطلوب الوفاء به والإخلاص له قلبًا وقولاً وفعلاً ، وما رُوي في الخبر : أنّ العبد يتناول الكتاب فيستره الربّ ويقرّره بذنوبه ، وما رُوي عنه أنّه يقول : اعزلوا صغارها من كبارها فتُخبَأ عنه كبارها ، وما ذُكر في التنزيل قول الله : ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ .

(١٧)
مسألة

ما وجدنا ذكر التقوى في التنزيل إلاّ في أربعة مواضع ، قوله تعالى : ﴿واتَّقُوا النَّارَ﴾ ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ ، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ، أن تقطعوها وسائر الأشياء .

قال : اجتنبوا ولا تقربوا ، ولم نجد تقوى إلاّ في ذكر الأرحام ، فتقوى النار هو أن

---

٩) والنزوع ج . ن : والنزع د ١٢) هو مؤمن ج . ن : – د ١٣) يتناول ج . د : يناول ن ١٤) ويقرره ج . ن : ويقرّر د

....

٧) – ٨) المعجم المفهرس ٢ : ١٨٥ ب
١٥) القرآن الكريم ٧٠/٢٥
١٨) – ١٩) القرآن الكريم ٢٤/٢
١٩) القرآن الكريم ٢٨١/٢
١٩) – ٢٠) القرآن الكريم ١/٤

يتّقي من الشرك والكبائر ، وتقوى المرجع إليه هو أن يتّقي من جميع الآثام سرًّا وجهرًا ويتّقي التخليط في الأعمال والتخلّق بأخلاق السوء ، وتقوى الله أن تتّقي كلّ شيء يشغلك عن الله ويُلهيك عنه ، وتقوى الأرحام هو أن تتّقي القطيعة فيقطعَك الله.

(١٨)

مسألة

قال : وتلوت هذه الآية يومًا في النساء حيث قال الله : ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ / ١٤٠ ب
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عليًّا كبيرًا﴾.

قال : فإن أطعنكم في المضاجع فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً في الحبّ فتقول لها : ليكن قلبكِ لي ومعي فإنّ القلب لا يُملَك ، ثم قال : إن الله كان عليًّا كبيرًا ، فإنّ الله أعلى وأكرم لم يقتض هذا على عباده ، بل قال : أطيعوني فيما أمرتكم جوارحَ ، ولم يقتضهم القلوبَ ، فكان إعطاءُ القلوب فعلَ الأولياء خاصّةً ، انقطعوا إليه وتخلّصوا بالإنابة إليه ، فكأنّه يقول : وإنّي لم أطلب أنا هذا من عبادي ، فلا تطلب أنت منها ذلك ، إذا أطاعتك في نفسك بذلاً وانقيادًا لأمرك.

وصلّى الله على محمّد وآله.

(١٩)

مسألة

قال : وكتب إلى أبي عثمان سعيد النيسابوري رحمه الله جواب كتابه :

سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أمّا بعد : فإنّ هذه النفوس مبناها على السبع : على الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والشكّ والشرك والغفلة ، فإذا حيي القلب بالإيمان خرج من هذه السبع قلبًا وهي في النفس بواقٍ ، ثم تصير هذه السبع في الصدر غطاءً على القلب يتراءى له في كلّ أمر وعلى كلّ حال ، ثم لا يزال العبد في مزيد من ذلك ،

---

١١) جوارح : جوارحًا جَ ، نَ ، دَ ١٢) انقطعوا نَ ، دَ : ينقطعوا جَ ١٣) وإنّي جَ ، نَ : وأنى أنا دَ || أنا هذا جَ : أنا نَ : – دَ ٢١) بواق : بواقي جَ ، نَ ، دَ

....

٦) – ٨) القرآن الكريم ٣٤/٤

ينوّر الله الإيمان في قلبه، فبقدر ما يستنير في صدره يذوب هذا الغطاء عن قلبه
وينكشف له عن حقائق الأمور حتى يصير من أهل اليقين، فإذا أيقن تلاشت هذه
النفس وذهبت فصارت الرغبة إليه والرهبة منه والغضب له، وتحوّلت الشهوة منية والمنية
أملاً وصار الشكّ يقيناً والشرك / إخلاصًا والغفلة جهدًا، فذهبت النفس وبقي العبد مع ١٤١ أ
ربّه في الأحوال كلّها.

ووجدنا العلم نوعين، نوع منهما العلم بالنفس ودواهيها وعيوبها، ونوع منهما العلم بالله
تعالى، فإن اشتغل العبد بمعرفة العيوب بقي عمرَه فيها وفي التخلّص منها، وإن اشتغل
بمعرفة العلم بالله كان ذلك دواءه، لأنّ علمه به يؤدّيه إلى حياة قلبه وإزهاق نفسه فإذا
زهقت النفس بما ورد عليها من التجلّي حيي القلب بربّه، فأيّ عيب يبقى معه؟

وورد عليّ كتابك، يا أخي، وكتاب بعد كتاب، ووكّدت في ذكر عيوب النفس في
باب المعرفة، فإن قدرتَ، يا أخي، أن لا تشتغل بذكر العيوب – وكلّ هذا سوى الله
تعالى – فافعلْ. فإنّ لله عبادًا عرفوه معرفة وأنكروا كلّ شيء دونه واتّقوا من ذكر النفس
وخافوه، فكأنّهم إذا ابتلوا بذكرها يدور بأحدهم معرقه حتى يكاد يقيء – وكيف يقدر
من جال في بساتين الورد والياسمين والنسرين أن يرتع في بقاع الشوك، أم كيف يقدر من
صار ذكر الجليل له غذاءً أن يستمع إلى ذكر غيره؟

العلم بالله والمعرفة لله والعقل عن الله – من حوى هذه الثلاث حيي قلبه بالله ونعم باله
وطاب روحه وصحّت عبودته وظفر بالحرّيّة من رقّ نفسه وعلت رتبته وبرزت منزلته
وساد أشكاله وكرم على مولاه ونال منه فوق أمله في العاجل والآجل.

أمّا في العاجل: فأهدى إليه الحكمة العليا من خزائن ربوبيّته ومكّن له بين يديه
وأخذ له بأسراره، وأمّا في الآجل: فيجعله في خدمه يوم يصطفّ الأولياء والأنبياء،
وأنطقه بالثناء عليه بما لم تسمع الآذان كلّها مثله حتى تقرّ به عين المصطفى ﷺ وهيّأ له
منبرًا، وأمّا في داره /: فقرّب محلّه ورفع الستر عنه فيما بينه وبينه. ١٤١ ب

فإن قدرت رحمك الله أن تكلّم أخاك من هذا النحو فإنّه أقرب لنا ولك وأطيب

---

٦) منهما ن: منها ج، د ‖ منهما ن: منها ج، د ٧) التخلّص ج، ن: التخليص د ٨) لأن علمه ج، ن: لأنه علم د ١١) وكلّ ن: كل ج، د ‖ سوى الله تعالى ن: – ج، د ١٣) بذكرها ن، د: بذكر ما ج ‖ بأحدهم ج: – ن، د ١٦) من ن، د: فمن ج ١٩) أما في العاجل ج، د: – ن ٢١) كلها ج: – ن، د ٢٣) أقرب – أطيب ج: أطيب لنا ولك ن، د

وأشرف. ومن أراد فيما بيننا الوصول إلى حاجته كان أرجى.

وممّا يحقّق ما قلنا حديث رسول الله ﷺ حيث أتاه الرجل فقال: يا رسول الله: علّمني غرائب العلم! قال عليه السلام: ما صنعتَ في رأس العلم؟ هل عرفت الربّ؟ فغرائب العلم هو علم النفس وعلم الأمر والنهي، ورأس العلم ما دلّ عليه رسول الله ﷺ.

وممّا يحقّق ذلك ما ذكره الله في التنزيل من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فاقتضاه علم هذه الكلمة، وقد كان علم قبل ذلك منه ما علم، ولم يزل ﷺ يزداد علمًا إلى أن فارق الدنيا.

(٢٠)

مسألة

قال: وجدنا شأن القلب أنّه ملك والجوارح جنوده وأعوانه، فإذا صلح كان مثله كمثل الملك إذا كان غنيًّا ذا لباس حسن وشارة حسنة، وأعوانه في هيئة الفقراء والضعفاء، فإذا نظر العاقل إلى الملك في غناه وزيّه وبهائه وقوّته لم يستعظم ممّا يرى في أعوانه، فيقول في نفسه: الملك القويّ غنيّ، متى ما شاء قوّى رجاله وزيّنهم وكساهم وجمّلهم في يوم واحد.

وإذا كان القلب فاسدًا فهو كملك فقير ضعيف عائل دنس الثياب، ليس عنده من الأموال شيء، وأعوانه في زيّ وشارة حسنة، وكلّهم فرسان وهو راجل، فإذا نظر العاقل إلى ذلك منهم يقول في نفسه: إنّ هذا الملك ضعيف رثّ الهيئة خفيف ذات اليد، فلا يقوى بكسوة هذا الجند وهيئتهم ومراكبهم، فإنّ الذي في أيديهم يذهب وينفد، وليس للملك من المادّة ما يعطيهم، فقد ذهبوا كلّهم.

/ فكذلك القلب إذا فسد لا تغرّنّك صلاته وصومه وصدقته وعمل جوارحه، فلو ١٤٢ أ
أنّ جميع جوارحه تزيّنت بجميع الطاعات، ثم دامت تلك الطاعات على الجوارح

---

٤) النفس نَ. دَ: اليقين جَ ٥) ذكره جَ، نَ: ذكر دَ ١٣) فيقول جَ: يقول نَ: دَ ‖ متى ما جَ، نَ: متى دَ ١٥) من جَ، نَ: في دَ ١٨) بكسوة نَ، دَ كسوة جَ

....

٢) – ٣) قارن حلية ١. ٢٤. ٣

٥) – ٦) القرآن الكريم ١٩/٤٧

وامتدّت المدّة في ذلك ، ففرّت الجوارح عن الطاعات ولم يكن في قلبه من الغناء ما يمدّ الجوارح ، بقيت الجوارح معطّلة ، والقلب فقير ، فماذا أغنى هذا الظاهر على الجوارح؟ فإذا كان القلب غنيًّا والجوارح معطّلة ففي أدنى حركة من القلب توسّع الجوارح خيرًا وبرًّا .

قال : وجدنا القلب يذهب ماؤه وحدّته من كثرة ما يُطرَد عليه من الشهوات من النفس ، كالسكّين يذهب ماؤه من كثرة ما تُقطَع بها الأشياء ، فمتى ما حدّدتَه على حجر احتدّ ساعة ، ثم لا يلبث إلاّ يسيرًا حتى يعود إلى حالته ، وذلك لأنّه ذهب ماؤه ، وكذلك القلب ، من كثرة ما يُستَعمل في أمور الدنيا ذهب ماؤه وحدّته ، ومتى ما أدنيته من الوعظ فإنّما يحتدّ ساعة ، فإذا أكل أو شرب أو نام أو خالط أمر الدنيا ذهبت الحدّة وفقد الغرض الذي عزم عليه عند الوعظ ، فتحتاج إلى أن تعالجه كما تعالج السكّين فتُحَمَّى بالنار ثم تُلقَى في الماء وتحدَّد بالحجارة فتبقى معها حدّتها ، ثلاثةً وزيادة ، وكذلك القلب يحمَّى بناره ، وهو ترك الشهوات حتى تصل حرارة المنع إليه ، فيصفو من الكدورة التي فيه ، فإنّ الشهوات دخلت القلب فكدّرت الإيمان ، فإذا مُنع الشهوات جاءته الحرارات ، فتلك تصفية القلب كما تُصَفَّى الفضّة مرّة بعد مرّة من حين تؤخذ من المعدن جوهرةً إلى أن لا يبقى منه شيء من جنس التراب ، فيصفو فيصلح لضرب الدراهم ، ثم يُدنَى القلب من الوعظ فينجع فيه الذكر ويتّعظ .

(٢١)
مسألة

١٤٢ ب / قال : لو أنّ رجلاً له ديوان له فيه مال على ناس ، فتصفّح ديوانه ، فرأى فيه على فلان كذا ، فإذا هو مفلس ، وعلى فلان كذا ، فإذا هو رجل ظلوم غشوم لا يقوى به ، وعلى فلان كذا ، فإذا هو جاحد ، فإذا رأى فيهم رجلاً برًّا صدوقًا تقيًّا ذا وفاء وغناء طابت نفسه وذهب انكسار قلبه ، وقال : في هذا عوض عن الآخرين .

فكذلك الرجل إذا رأى في ديوان آخرته صومًا وصلاة وحجًّا وصدقة وأعمال برّ ، وهو يرجو أن ينال من ذلك خيرًا في الآخرة ، فإذا فكّر في صدقه وفي قبول ذلك منه

---

١) ففرت نَ . دَ : أففرت جَ || عن جَ ، نَ : على دَ ٥) على حجر جَ ، دَ : — نَ ١١) وهو جَ ، دَ : وهي نَ ١٥) الذكر جَ : — نَ . دَ ١٩) به جَ ، نَ : له دَ ٢٠) صدوقًا تقيًّا نَ ، دَ : تقيًّا صدوقًا جَ ٢٣) صدقه جَ : صدقته نَ . دَ

انكسر قلبه وخبثت نفسه ، فإذا رأى في ديوانه أنّه قد عفى عن من ظلمه – وقد قال الله تبارك وتعالى في تنزيله : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ – قال : قد وقع أجري على الله ربّي ، وهو العليّ المليء الوفيّ لما أوجب على نفسه ، لأنّ ههنا ضمان وفي سائر الأعمال عدّة على شريطة ، فطابت نفسه وقوي قلبه ، فمن علم هذا كان حقيق عليه أن يتّخذ العفو سجيّةً.

وقال الله في تنزيله : ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ ، فسمّاه محسنًا وأوجب له المحبّة ، ثم قال الله : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، فحثّ عليه ثم منّاهم المغفرة ، ولو أنّ رجلاً له عبيد ، فجنى أحدهم عليك جناية ، فأعطاك السوط وقال : خذ حقّك منه قَوَدًا أو قصاصًا – لكان ذلك من العدل الذي لا يُستنكر منه ، ولكنّه يشتدّ عليه لأنّه يحبّه ، ولكنّه أحبّ أن ينصفك منه ، فأيّ الأمرين أنت أحظى عنده : أبضربك إيّاه وهو يرحمه ويحبّه أم بموافقته ورفع الضرب عنه؟ فكذلك عندنا ونحن عبيده.

(٢٢)

مسألة

/ قال : فنظرنا في تأويل حديث رسول الله ﷺ : من وسّع على عياله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر السنة – حدّثنا بذلك عبد الكريم بن عبدالله السكّري ، ثنا عبدالله ابن نافع الصائغ ، ثنا أيّوب بن سليمان ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ. ١٤٣ أ

فطلبنا مأخذ هذا من أين هو ، فلم نجد شيئًا أحرى من هذا ، وذلك أنّ نوحًا عليه

---

٢) الله ج : – ن ، د ٤) حقيق ن ، د : خليق ج ٩) أو قصاصًا ج : وقصاصًا ن ، د
١٠) منه ج : فيه ن ، د

....

٢) القرآن الكريم ٤٠/٤٢
٦) القرآن الكريم ١٣٤/٣
٧) – ٨) القرآن الكريم ٢٢/٢٤
١٥) – ١٦) فيض ٦ ، ٢٣٥ ، رقم ٩٠٧٥ ؛ وقارن : نوادر الأصول ٢٤٦ ، أصل ٢١٢
١٦) عبد الكريم بن عبدالله ، قارن : H T 19, Nr. 14 || عبدالله بن نافع ، قارن : تقريب ١ ، ٤٥٦ ، رقم ٦٨٦ ؛ تهذيب ٦ ، ٥١ ، رقم ٩٨
١٧) أيوب بن سليمان ، قارن : تقريب ١ ، ٨٩ ، رقم ٦٩٧ و٦٩٨ ؛ تهذيب ١ ، ٤٠٤ ، رقم ٧٤٢ و٧٤٣

السلام استوت سفينته على الجودي في يوم عاشوراء ، فقيل له : اهبط بسلام منّا وبركات عليك وعلى أمم ممّن معك ، وهم أهل التوحيد ، فإنّما أمره بالهبوط ليُبَوّأ لنفسه وعياله مسكنًا ، فهبط وهيّأ لهم وأخرج ما في السفينة من كلّ زوجين اثنين ، فكان ذلك له وفي مسكنه ، فأُعطي الهبوط والسلام من الله تعالى والبركات عليه وعلى أمم ممّن معه وهم المؤمنون ، وكلّ من بوّأ في ذلك اليوم ما دامت الدنيا في بيته شيئًا أو هيّأ لهم ما يوسّع عليهم دخل في ذلك السلام والبركة وناله من خيرهما وسعتها .

(٢٣)

مسألة

قال : يُعطِي عبدَه العطاء ويفتح له من قربه ما لو داوم على ذلك لم يحتمله ، فإذا ما حُبس عنه تلوّى وتململ وضاق به ذرعًا لانقطاع وجود تلك الحلاوة ، فمثله كمثل الصبيّ تضمّه أمّه وتضع ثديها في فيه ، فإذا شرب اللبن وعلمت كفايته قطعت عنه الثدي ، فهو يحرصه على ذلك ، يتلوّى ويضطرب في حجرها تحنّنًا إلى الثدي ، فربّما كان اللبن مفسدًا له ولا تحتمله معدته فيرمي به قيئًا .

١٤٣ ب فالله تعالى أرحم بعبده / وأرأف ، إذا فتح له من قربه ثم قطعه عنه لا يحتمله فتحوّل في هيئة المجانين والمعتوهين، فهذه الأمّ تقطع عنه الثديين بعدما أروَته وتُنحّيه من حجرها وتقول للولد : اذهب فانتشر حتى تحتاج إليه ، فهذا دأبه .

فكذلك قول الربّ لعبده : قد أذقتُك من الحلاوة ما نلته ، فإن زدتُك هبطت على وجه الأرض في أن أذقتك الخوفَ خوفَ القربة ، اضطربت في هيئة المجانين ، فأنا أرحم بك وأرأف من أمّك التي صنعت بك هكذا ، فاذهب الآن فانتشر في طاعتي حتى تستمرئ هذه الوليمة ، وأنا أعلم بما يصلحك .

(٢٤)

مسألة

قال أبو عبدالله : أوّل داء في النفس الجهل ، ثم حبّ الأشياء ، ثم قلّة المبالاة ، ثم الجرأة ، ثم قلّة الحياء ، ثم تصديق النفس ، ثم المنى لفوز الآخرة .

---

١) في نَ : – جَ ، دَ ٣) له جَ ، دَ : – نَ ٥) من بوّأ في جَ : يوافي نَ ، دَ ٩) فاذا ما جَ : – نَ ، دَ ١٥) وتنحيه نَ ، دَ : تنحيه جَ

فالقلوب ثلاثة : ميّت ، ليس به حراك ، وسكران ، لا يفيق إلاّ في وقت الرجفة أو كسوف الشمس والقمر ، ونائم ، لا يستيقظ إلاّ أن يوقظه وليّه ، وإذا أيقظه ثم نام دعاه إلى الاحتيال إلى أن يُنفر نوم القلب عنه ، كما ينفر نوم الجسد ، فإنّه إذا نام خرج شعاع الروح ، فبقي السمع والبصر والعقل – عقل النفس – معطّلاً ، فإذا نام القلب خرج شعاع الإيمان فبقي العقل – عقل الإيمان – وسمع القلب وبصره معطّلاً ، فلم تجد النفس شهوة الطاعات ، والعطايا تثقل القلب عن الربّ حين يغشاه النوم عن ربّه ، كما أنّ وجود اللذّات من الأطعمة يثقل النفس حين يغشاها النوم ، وقال : إذا امتلأت المعدة من الطعام انطبقت العينان لأنّ على المعدة عرقين / لاحقين بالعين ، فإذا ثقلت المعدة امتدّ ١٤٤ أ
العرقان فانطلق الجفنان.

فكذلك عين القلب ، إذا امتلأ القلب من شهوة النفس دنيا وآخرةً وملكوتيّةً انطبق الجفنان في الباطن من عين القلب ، فنام عن ربّه ، والنائم سالم ، ولكنّه ليس بغانم ، فإذا سلم فإنّما محصوله نفسه ، تجده في الجنّة مُنَعَّمًا مكرَّمًا ، والغانم محصوله ربّه تبارك وتعالى.

(٢٥)

مسألة

إنّ النفس إذا استقامت دعت الخلق إلى الصدق ، وأقامتْهم على حدّ السيف من الصدق ، وقد وقع الخلق في خُناقها ، تقتضي من الخلق ما منّ به عليه ربّه ، كأنّه يدّعي الربوبيّة ، فهذا دأبها : تنازع ربّها في كلّ أمر ، ما دامت مُخلَّطة كانت تنازع في الأمر والنهي ، قال لها ربّها : افعلي ! فكسلت وتوانت ، وقال لها : إيتي ! فجمحت ورمت بنفسها ، فلمّا رحمها ربّها ومنّ عليها بالاستقامة أخذت تحاسب الخلق وتخنقهم وتقتضي منهم الصدق بسوء العشرة ، نسأل الله تعالى أن يعيذنا وإيّاكم من دواهيها.

(٢٦)

مسألة

قال الإمام أبو عبدالله : إنّ الله خلق العرش فما دونه إلى الثرى وحشاها خلقًا ،

---

١) وقت جَ ، نَ : – دَ ١٩) إيتي : إيت جَ ، نَ ، دَ ٢٤) إنّ جَ ، نَ ، دَ : وإنّ عَ

ودعاهم أجمعين إلى قول لا إله إلاّ الله، فأسماؤه كثيرة، فلم يدعهم إلى أن يقولوا: لا ربّ إلاّ ربّنا، ولا مَلِك إلاّ ملكنا، ولا خالق إلاّ خالقنا، وإنّما دعاهم إلى هذا الاسم، فقال: قولوا: لا إله إلاّ الله، لأنّ العرش فما دونه لمّا أَلْهَمَهم ربوبيّته خافوا المضارّ والمنافع، فأولَهَهم كلّهم إلى نفسه، فدعاهم إلى أن ينفوا كلّ / مُوله إليه إلاّ هو. ١٤٤ ب

لأنّه من شأنه أن يسلّط بعض خلقه على بعض لأنّ للخوف نارًا وللمحبّة نور، فأكل نور المحبّة نار الخوف، فالنور يأكل النار، والماء يطفئ النار، والنار تأكل الحديد، فبالقدرة التي أبرزها وبالربوبيّة التي أظهرها أبان شأنه من الأشياء، فالخالق ذو معنى واحد، لا تجرى عليه المضارّ والمنافع ولا تعتوره الأحوال.

ثم قال الله في تنزيله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾، قوله: زوجين، أي: لونين اثنين، لكي يكون هذا دليلاً لكم على أنّي لا أشبه بخلقي ولا يشبهني خلقي، فنطق العرش والحجب والسموات والأرض والملائكة إلى الثرى بهذه الكلمة، وكذلك رُوي لنا في الخبر.

ثم قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، فجعل هذه الكلمة شعار المؤمنين، وإتمام وحي الأنبياء والمرسلين وشهادة العلماء به، فأوّل من شهد بذلك قبل خلقه ربّنا تبارك اسمه وتعالى جدّه، فقال: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ

---

٣) لمّا ج، ع: – ن، د ٤) فأولههم ج، ن، ع: فأوهمهم د ٥) يسلط ج، ن، ع: يسلك د || لأن – ٦) الخوف ج، ن، د: – ع ٦) يأكل ج، ن، ع: يطفئ ع ٧) الحديد ج، ن، ع: الأشياء ع || فالخالق ج، ن: فالخلق د، ع || ذو – ٨) الأحوال ج، ن، د: ذو معنيين بين مضار ومنافع وخوف ورجاء كائن ذلك فيهم وهو تبارك اسمه بخلاف خلقه لا تغيره الأحوال ولا تجري عليه هذه الأشياء من المضار والمنافع ولا تعتوره الأحوال ع ٩) ثم قال الله ج، ن، د: فقال تعالى ع || ففروا الى الله ج، ن، د: – ع ١٠) قوله زوجين ج، ن، د: – ع ١١) بخلقي ج، ن، د: خلقي ع || العرش ج، ن، د: للخلق ع || والأرض ج، ن، د: – ع || الى – ١٢) الثرى ج، ن، ع: والثرى د ١٢) وكذلك ج، ن، د: كذلك ع || لنا ج، ن، د: – ع ١٣) الله ج، ن، د: تعالى ع ١٤) وإتمام ع: فأمّا ج، ن، د ١٥) فأول ج، ن، د: وأول ع || ربنا ج، ن، د: هو ع || وتعالى – فقال ج، ن، د: فقال تعالى ع ١٦) قائمًا – ١٩٨، ١) الحكيم ج، ن، د: – ع

....

٩) – ١٠) القرآن الكريم ٥١/٤٩–٥٠
١٣) – ١٤) القرآن الكريم ٢١/٢٥
١٥) – ١٩٨، ١) القرآن الكريم ٣/١٨

الحَكِيمُ﴾ ، تبكيتًا لأعدائه واستحقارًا لهم ، أي : إنّكم إن لم تشهدوا بأنّي لا إله إلاّ أنا ، فإنّي أشهد بذلك أنا وملائكتي ، فشهادتي أعظم من شهادة جميع خلقي ، فمن منّ عليه بهذه الشهادة لزمه اسم العلم وصار منسوبًا إليه ، وأكيس الخلق وأعظمهم وأوفرهم حَظًّا من العلم مَن نطق بلا إله إلاّ الله صادقًا من قلبه.

ثم قال الله في تنزيله ، فقال : ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ، القول ١٤٥ أ
الطيّب للبدن الطيّب والبدن الطيّب للقول الطيّب ، فلا إله إلاّ الله من أطيب الأسماء وأطهرها وأصدقها وأعلاها وأعظمها لأنّها خرجت من نور المعرفة ، فلذلك تنفذ الحجب إلى ربّها حتى تقوم بين يديه.

فوجدنا في ذكر هذه الآية أنّ المؤمن شكل لقول لا إله إلاّ الله ، وأنّ هذا القول شكل للمؤمن ، كلّ واحد منهما كفوء لصاحبه ، فكما أنّ الكلمة ليس من الكلام كلمة لها كفوء فكذلك الجسم الذي صار يقولها ليس له من الأجسام كفوء.

فلهذا ما جرى الخبر به أنّ المؤمن أكرم على الله من الملائكة المقرّبين ، ثم قال عبدالله بن سلاّم عندما استعظم من لم يعقله : أرأيتَ الساجد أكرم من المسجود له؟ ألم تكن في طينة آدم يوم خلقه بيده ، ألم تكن في صلبه حيث أسجد له الملائكة؟ والله يقول : ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

وممّا يحقّق ما قلنا قول الله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾ ، فالعرش وما دونه إلى الثرى قد نطقوا بلا إله إلاّ الله ، لكنّا برزنا عليهم

---

١) إن ج ، ن ، د : – ع ‖ بأني ج ، ن ، د : بأنه ع ٢) وملائكتي : + وأولو العلم ع ‖ فشهادتي ج ، ن ، د : وشهادتى ع ٣) الخلق ج ، ن ، د : العلماء ع ٦) من ج ، ن ، د : – ع ٧) وأعظمها ج ، ن ، د : – ع ‖ فلذلك ن ، د ، ع : فكذلك ج ١٠) كفوء ج ، ن ، د : شكل ع ‖ أن الكلمة ج ، ن ، د : هذه ع ‖ لها – ١١) كفوء ج ، ن ، د : هي كفوء لها ع ١١) الجسم – يقولها ج ، ن ، د : هذا الجسم ع ١٢) الخبر به ج ، ن ، د : في الخبر ع ‖ مقربين ج ، ن ، د : العرش ع ‖ ثم – ١٣) يعقله ج ، ن ، د : عندما استعظم من استعظم قوله ع ١٣) من ج ، ن ، د : ام ع ١٤) في ج ، ن ، د : من ع ‖ حيث ج ، ن ، د : يوم ع ١٥) من نفطة ج ، د ، ع : نطفة ن ١٦) قول الله سبحانه ج ، د : ان الله سبحانه قال ن : قوله عز وجل ع ١٧) لكنا ج ، ن ، د : ولكنا ع ‖ عليهم : + بهذا القول ع

٥) القرآن الكريم ٢٦/٢٤
١٣) عبدالله بن سلام : قارن : Gas 1,304, Nr. 1
١٥) القرآن الكريم ١١/٣٥
١٦) – ١٧) القرآن الكريم ٧/٩٨

فضلاً لأنّ هؤلاء آمنوا به جبرًا والمؤمنون آمنوا به عرفانًا ، أَلْهَمَ الخلقَ رُبُوبيّتَه فآمنوا به وانكشف لهم الغطاء عن سلطانه وملكوت عرشه ، فوحّدوه وخافوه ووجلوه وأعطوا بأيديهم سرًّا وجهرًا .

والمؤمنون خُلقوا بخلاف خلقهم ، خلق آدم عليه السلام أجوف ، ثم وضع في جوفه أشياء مختلفة : من بين رحمة ورأفة وغضب وشهوة ورغبة ورهبة ، والملائكة لم يُخلَقوا هكذا ، صنف منهم خلقوا للرحمة وصنف / للغضب وصنف للرسالة وصنف للعبادة ١٤٥ ب وصنف للخزانة وصنف لمعاونة بني آدم ، فهم مطبوعون على ذلك ، وسائر الخلق كذلك ، من خلق للعمل فهو مجبور عليه لا يعمل غيره مثل الشمس والقمر والنجوم والرياح والنور والظلمة والحرّ والبرد والليل والنهار .

فتولّى فطرة آدم بيده وجعله أجوف وجعل هذه الأشياء فيه في مواضع معلومة ، وسلّطه على الأرض ومن فيها ، فالعرش وما دونه مطبوعون على شيء واحد منقادون لما وُضع بين أيديهم وأُمروا به ، وآدم وولده مطبوعون على أنحاء شتّى ، مجموع لهم هذه الأشياء ، مكلّفون استعمال تلك الأشياء ، فمرّة يرحم ومرّة يغضب ومرّة يشتهي ومرّة يعطي ومرّة يمنع ومرّة يحبّ ومرّة يكره ، والخلق كلّهم همدوا من خوفه ، بلحظة لحظها إليهم عرّفهم رُبُوبيّته ، فأذعنوا وانكشف الغطاء لهم حتى عاينوا تلك الأشياء ، فعرفوه من ذلك الطريق .

وجعل لآدم وولده قائمةً على ما جعل فيهم من جميع هذه الأشياء المختلفة ، ثم جعل القلب وسط ذلك وجعل الجوارح أركان القلب ، السمع والبصر ركنه واليد ركنه ، فأيّة حاسّة من هذه الحواسّ الخمس إذا وجد شيئًا أدّت ذلك إلى القلب فعلم به .

وجعل في الجوف مواضع الرأفة والرحمة والغضب والشهوة لتهيّج بالأسباب فيعمل على

---

٢) لهم ع : — ج ، ن ، د ‖ ووجلوه ج ، ن ، د ‖ ووجلوه ج ، ن : وجاءوه ن : واجلوه ع ٤) خلقهم ج ، ن ، د : غيرهم ع ‖ في جوفه ج ، ن ، د : فيه ع ٥) من بين ع : من ج ، ن ، د ‖ رحمة ورأفة ج ، ن : رأفة ورحمة د ، ع ‖ وغضب — ورهبة ج ، ن ، د : ورغبة ورهبة وشهوة وغضب ع ٧) فهم ج ، ن ، د : وصنف منهم ع ٨) عليه ج ، ن ، د : على ذلك العمل ع ١٠) فتولى ج ، ن ، د : + الله تبارك اسمه ع ‖ فطرة ج ، ن ، د : فطر ع ‖ وجعله ج ، ن ، د : وخلقه ع ‖ وجعل ج ، ن ، د : ووضع ع ١٢) وآدم ع : — ج ، ن ، د ١٣) تلك ج ، ن ، د : كل ع ١٤) لحظها ع : — ج ، ن ، د ١٥) وانكشف ج ، ن ، د : وكشف ع ١٨) السمع — ركنه ج ، ن ، د : السمع ركن والبصر ركن واليد ركن والمذاق ركن ع ١٩) اذا ج ، ن ، د : — ع ‖ أدت ع : ادى ج ، ن ، د ٢٠) وجعل ج ، ن ، د : ثم جعل ع ‖ مواضع الرأفة ج ، ن ، د : مواضعٌ للرأفة ع ‖ بالأسباب ن ، د ، ع : الأسباب ج

القلب ذلك الهائج ، ثم جعل لهم في قلوبهم من نوره ما هداهم به ، فبنوره الذي أشرق في قلوبهم عرفوه ، والمؤمنون أدركتهم رحمته ووقعت عليهم خيرته ووفّر حظّهم من نفسه فأنار قلوبهم بنوره ، / فسكنوا إليه حتى جعل ذلك قائمةً لهم فيمَا بينهم وبينه ، وهو قول ١٤٦ أ
الله : ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ، فالعروة هو ذلك النور الذي استنار به قلبه ، فإيمانهم بالغيب بما عرّفهم من نفسه وأشعل النور في قلوبهم .

وإيمان الملائكة على الإلهام والجبر وكشف الغطاء ، فصار المؤمنون أكرم عليه من هذا الطريق ، فهم أقرب زلفة إليه من طريق المعاينة ظاهرًا ، والمؤمنون أقرب زلفة من طريق القلوب إليه باطنًا ، والمؤمنون مع الشهوات والعجائب والشياطين ، وهم في راحة من هذا ، فقولنا لا إله إلاّ الله أعظم شأنًا من قولهم ، فلذلك قلنا : كما أنّه ليس لهذا القول شكل من الكلام ، فكذلك هذه النفس الطيّبة التي جعلت كفوءًا لهذا القول ليس لها كفوء في الخلق ، أعني في الكرامة من ربّنا .

فمن اجتباه أنار قلبه ونقله إلى جواره فبوّأه في دار نعمه ، ثم أضافه زائرًا إلى داره ومجلسه وكلّمه وتجلّى له ، ومن تركه نُفاية ألقاه إلى النار ليكون حطبًا لها ، كذلك كلّ شيء : له كدورة وصفاء ومختار ونفاية ، والملائكة أقيموا في الجنّة على خزائنهم وعلى العمل لهم وعلى حمل الهدايا إليهم ، حتى جبريل عليه السلام رأس الأمناء والمقرّبين ، جليسهم ومحدّثهم ويوم الزيارة قائدهم مع لواء الحمد إلى دار الله ، وسائر الخلق بادوا وذهبوا لأنّهم خلقوا لبني آدم سخرة ومنفعة .

---

١) الهائج : + منه عَ ‖ ما هداهم به عَ : فهداهم له جَ ، نَ ، دَ ٢) عرفوه جَ ، نَ ، دَ : وحدوه عَ ٣) ذلك جَ ، نَ ، دَ : النور عَ ‖ قول الله جَ ، نَ ، دَ : قوله تعالى عَ ٤) استنار جَ ، نَ ، دَ : استنارت عَ ‖ قلبه جَ ، نَ ، دَ : قلوبهم عَ ٥) فإيمانهم جَ ، نَ ، دَ : بإيمانهم عَ ‖ بالغيب نَ ، عَ : الغيب جَ ، نَ ٦) فصار المؤمنون جَ ، نَ ، دَ : والمؤمنون عَ ٧) اليه عَ : – جَ ، نَ ، دَ ١٠) الطيبة جَ ، نَ ، دَ : المطمئنة عَ ١١) في جَ ، نَ ، دَ : – عَ ١٢) نعمه عَ : نعمته جَ ، نَ ، دَ ‖ زائرًا جَ ، عَ : زائدًا نَ ، دَ ١٣) وكلمة جَ ، نَ ، دَ : كرمه عَ ‖ كذلك جَ ، نَ ، دَ : وكذلك عَ ١٤) صفاء جَ ، نَ ، دَ : صفاوة عَ ‖ أقيموا – خزائنهم جَ ، نَ ، دَ : اؤتمنوا على حراستهم عَ ١٥) المقربين جَ ، نَ ، دَ : المرسلين عَ ١٦) دار عَ : – جَ ، نَ ، دَ ١٧) لأنهم جَ ، نَ ، دَ : بأنهم عَ

٤) القرآن الكريم ٢/٢٥٦

(٢٧)
مسألة المجذوبين

قول الله : ﴿ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ ، فأهل الجباية في كلّ وقت أفضل من أهل الهداية بالإنابة لأنّ / [١٤٦ ب] أهل الاجتباء خرجت لهم هذه الدولة من مشيئته منًّا منه عليهم ، وأهل الهداية أنابوا إليه ، فهداهم .

فمن اجتباه وضع صُنعه عليه، صاروا كذلك ، جذبهم وصاروا بجذبته كما شاء، كقوله : كن ، فصاروا كذلك ، وأهل الهداية رزقهم الإنابة ، ثم هداهم بالإنابة ، ويُظهر ذلك كما فعل بالخلائق كلّهم بقوله : كن ، وخلق آدم بيده ، فوضع صنعه على آدم فبرز على الخلق . وأهل الجباية نالوا ذلك من طريق المنّة ، خرجت لهم من مشيئته ، وأهل الهداية صاروا إليه فأثابهم الهداية ، فالثواب للسير على قدره ، وأهل الجباية منّ عليهم والمنّة على قدر المنّان . والأنبياء والرسل اجتباهم وجذبهم .

(٢٨)
مسألة

قال أبو عبدالله : من كان معرضًا عن الله يخدمه العبيد المشترون بالدراهم والدنانير ، ومن كان مطيعًا لله يخدمه الأحرار المطيعون له ، ومن كان مقبلاً على الله يخدمه أحرار النفوس حتى يمكنهم الكون معه ، ومن لم يكن حرّ النفس اشتبهت عليهم أمورهم .

(٢٩)
مسألة

سئل عن قول الله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ؟

فقال : مثله كجلدة على جسدك أُمرتَ بأن تقرضها فتستأصلها حتى لا يبقى من الجلدة شيء ، وأن لا تتعدّى بالقطع حتى تأخذ من اللحم .

---

٨) فعل ج ، د : فعل ذلك ن ٩) على ج ، د : عن ن ١٠) للسير ج ، د : للسيد ن
١٤) المشترون ن : المشتروا ج . د ١٥) الأحرار ج ، د : من الأحرار ن

....

٣) القرآن الكريم ١٣/٤٢
١٩) القرآن الكريم ١١/٥٧ ؛ وقارن : نوادر الأصول ١٤٧ ، أصل ١١١

قيل : ما هذا؟

قال : كذلك أُمرتَ أن تقرض لأنّ حبّ المال لازق بالقلب فتقطعه من قلبك كما تقرض الجلدة بالمقراض . فإذا أعطيتَ ولم تتبع نفسك ثوابها ولم تقطع من قلبك قطعًا يُبقي على القلب / ألمَه ، فلا تسلم بذلك من أن ترى نفسك على صاحب المنّة وإن دقّ. ١٤٧ أ

وهذا لا يسلم منه إلاّ من سقط قدر الشيء عن قلبه ، فأعطى ولم يحرج قلبه الإعطاءُ ولم تتبع نفسه ثوابها ، فكأنّه من القبيح أن يقول : يا ربّ أيّ شيء تعطينا بهذا؟ فيقول : يا عبدي سُقتَ الشيء طالبًا للثواب؟ لم تقم القيامة بعدُ ، والصدقة في خزائن الأعمال فسبقتَ بطلب الثواب.

قال أبو عبدالله لأصحابه يومًا : ما تقولون في رجل فجر بزانية ، ثم قام بين يدي ربّه يصلّي وهو جُنُب ، أليس هذا جرأة عظيمة وصلاته غير مقبولة؟

قالوا : نعم !

قال : فمن فجر قلبه بهذه الزانية – يعني الدنيا – حتى أجنب قلبه ، أيطمع أن يقف قلبه بين يدي الله وهو جنب – هذا ما لا يكون.

(٣٠)
مسألة

قيل له : لا تزال تكرّر في دعائك : استرنا واجبرنا !

فقال : هذا دعاء ندعوه في العامّ لنشترك فيه مع الجمع ، فأمّا : استرنا ، فأن نكون في ستره مع جميع العيوب ، وإذا ستر الله على عبد جعل له لسان صدق ونشر عليه محاسنه ورفع عنه الحساب.

وأمّا : اجبرنا ، فما تقولون في رجل خرّ من تحت العرش إلى الأرض أترونه يندقّ دقّ الكحل؟ فمَن يقدر أن يجبر هذه الأعظم التي صارت كالرميم رضًّا من الوقعة؟ من هناك نصرخ إليه أن استرنا واجبرنا.

---

٣) ولم : لم جَ ، نَ ، دَ ٤) صاحب : صاحبه جَ . نَ ، دَ ٧) سقت نَ ، دَ : سبقت جَ
٨) بطلب جَ . نَ : لطلب دَ ١٣) ما نَ . دَ : – جَ ١٨) مع جَ ، نَ : من دَ

(٣١)

مسألة

قال أبو عبدالله : وجدتُ الناظر إلى خلقه على ثلاثة أصناف : من نظر إليهم بعين الشهوة لم ينج من الفتنة ، ومن نظر إليهم بعين الروح سلم منهم واستوت عنده منازلهم ،
١٤٧ ب ومن نظر إليهم بعين المعرفة أنزل كلاً منهم منزلته : / الوضيع لضعته والشريف لشرفه والعالم لعلمه والجاهل لجهله والغنيّ لغناه والفقير لفقره والجميل لجماله والدميم لدمامته ، رأى تدبير الله فيهم وأبصرهم على منازلهم وأنزلهم على تلك المنازل موافقة لله.

قال لجلسائه : ما تقولون في حبيب يؤنسنا اليوم لغد ووجّه إلينا لفافة أثواب فقال : إيتني غدًا في هذه الأثواب ، لكلّ رجل منهم ثوب باسمه ، ففُتحت اللفافة ، فكان لرجل قطعة مسح وللآخر برذعة ولآخر ثوب بُخاري ولآخر ثوب مروزي ولآخر ثوب خزّ ولآخر ثوب وشي – أكان يطمع صاحب البرذعة أن يقعد من الضيافة حيث ما يقعد صاحب الوشي؟ – وقال لواحد : إيتني على هذا الفرس راكبًا ، ولآخر : على بغل ، ولآخر : على حمار ، ولآخر : راجلاً – أما كان لهم من العقول ما يعرفون منازلهم؟ فكذلك منازل القلوب في قصدها إلى الله.

وقالوا له يومًا : استماع هذا الكلام والعمل مفقود فكيف يقع من هذا؟

قيل : قول الله : ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

فردّد الله الوعد والوعيد وذكر الإحسان وذكر الآلاء في غير مكان ، فلولا أنّه علم ما ردّد وما وصّل ، والتوصيل المتابعة.

ومثل ذلك مثل حائط عليه من الغبار والدخان غير قليل ، فكلّما ضربتَ الطين سقط ، وإذا تابعتَ الضرب ففي كلّ مرّة يزول من غبار الحائط ودخانه حتى يبقى الحائط
١٤٨ أ وقد تعرّى من الغبار وأصابته نداوة الطين ، فإذا ضربتَ استمسك الطين فيه / ، فسوّيته ، ثم تركته ، ثم طيّنته مرّة أخرى بطين ألين منه ، ثم جصّصته ، ثم نقشته.

قيل : ما هذا؟

---

٨) يؤنسنا ج، ن: فيؤنسنا د ١٠) ولآخر ن، د: وللآخر ج: مروزي: مروي ج، ن، د
١٣) أما ج، ن: ما د ‖ يعرفون ن، د: يعرفوا ج ١٦) لعلهم ج، د: – ن

....

١٦) القرآن الكريم ٥١/٢٨

قال : قلب عليه من الغبار – غبار الشهوات غير قليل وأدناس الذنوب قد لزقت به ، فإذا جاءته الموعظة لا تلزق به لحال الغبار ، فإذا تتابعت الموعظة زال عنه الغبار وابتلّ فلُزق به ، ثم جاءته الطاعة وجاءه التقوى ، فهما التطّينان ، ثم فُتح له ، فجاء التجصيص وابيضّ القلب ، ثم جاءت الرؤية – رؤية الأعمال ، فرأى قبيح المعاصي وزينة الطاعات وبهجتها وبهاء العبوديّة ، فصار حائط الصدر منقوشًا ، فهو مع النفس سروره وفرحه بها ، حتى إذا أشرق النور وغابت النفس عن عين قلبه صار في الرَوح والسرور الدائم .

ومثل آخر للقلب : كلّما زادت النفس شهوة أظلم عليه الصدر ، فإذا حُبست انقطع الدخان ، فلا يزال هكذا حتى يبرد التنّور وينطفئ ناره فيستريح ، فحينئذ يحيا بنيران العطاء ، فيحمَى بنوره .

قال : أمّا محبّة الأعلى لها ثبات ودوام وقرار ، فهي محبّة الله التي هيّجها لك كشف الغطاء عن العلم به والمعرفة له ، وذلك أنّ الإنسان مطبوع على أنّه كلّما وجد شيئًا أعلى من شيء مالت نفسه إليه لا ينظر إلى ما لا يكون له منها .

وقد نجد هذا في النفوس كائنًا : إنّه تحبّ الغنى من غير أن ترجو نفعه ، وتحبّ الأمير من غير أن يعرفه الأمير ، وتحبّ من الثياب أرفعها ومن الدوابّ أفرهها ومن الخلق أوسعهم ومن كلّ حالة ومنزلة أعلاها وأنبلها ، وسموّها أبدًا إلى الأعلى والأرفع ، على هذا طُبع وليس به منفعة نفسه ، إنّما هو شيء عليه بنية الآدميّ وموافق هذه الأشياء / ١٤٨ ب لبنيته ، فأحبّت ومالت نفسه إليه .

فقَصْد هذا الآدميّ وسموّه إلى الأرفع والأعلى ، فإذا وصل قلبه إلى خالقه معرفةً به وعلمًا أحبّه حبّ شغوف به . فكلّما ازداد به شغوفًا وإليه ميلاً ، فهذه المحبّة الدائمة الثابتة الراسخة التي لا تزول بزوال الجبال ، فهو يجد قلبه في حال النعمة والبلاء والمحبوب والمكروه معتدلاً لا يكاد يجد فتورًا ، يحمل على نفسه النصب والأذى لمحبّته ويؤثر على

---

٢) تتابعت ن. د: تابعت ج ٣) به ج : – ن ، د || وجاءه ج : وجاء ن ، د ١٤) هذا ج ، ن : – د || كائنًا ن . د: كاملاً ج ١٥) أفرهها ج . د: أرفها ن ١٩) الأرفع والأعلى ن: الأعلى والأرفع ج . د ٢٠) ميلاً ج . د: والهًا ن ٢١) تزول ج ، ن: تزل د

نفسه، فإذا نزل به من عنده من غير تكلّف للعبد ولا اختيار كان فعله إذا خرج من اختياره ومشيئته أحلى عنده من فعل العبد لنفسه.

آخر المسائل ٣

والحمد لله كما هو أهله

٣) آخر المسائل ج، ن: تمّت المسائل بعون الله ومنّه وحسن تأييده وتوفيقه د ٤) والحمد – أهله ن: والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد النبي وآله وصحبه وسلم ج: الحمد لله وحده وصلواته على سيّدنا محمد نبيّه وآله وصحبه وسلامه د